إن فكرة إقامة معرض يروي من خلال الصور الفوتوغرافية ما كانت عليه منذ قرن أو أكثر دول البحر المتوسط بمدنها و سكانها وسواحلها وموانيها وبفضل مجموعة من الصور الحديثة العهد التى توضح كيف تغير كل ذلك مع الزمن - هذه الفكرة ولدت من لقاء سعيد. من ناحية التراث الفوتوغرافى الرائع لمؤسسة الينارى ومن ناحية أخرى رغبة الأنسا بالتعاون مع مشروع أنسامد فى العثور على أشكال من التواصل المناسب بين دول البحر المتوسط و بقية العالم و أخيراً فى أن تلعب دور الجسر بين الحساسية تجاه مشكلات منطقة المتوسط والتى عبر عنها مجلس الشيوخ الايطالى ورئيسه و عن الرغبة فى التعبير عن الأهمية التى تمثلها هذه المنطقة اليوم ليس فقط لنا ولكن لكافة المجتمع الدولى.

إن إلقاء الضوء علي تعريف الهوية المتوسطية بعبارات لا تقتصر على البعد الجغرافى ليس بالمهمة السهلة ففى لحظات نادرة من التاريخ كان هناك خطاً أحمراً متوحداً و متماسكاً فى تقلبات دول الساحل فالدول المتوسطية يسكنها أعراق مختلفة وشعوبها تعتنق ديانات مختلفة وتتكلم لغات مختلفة. ظاهرياً قد تبدو التفاصيل التى تفصل بينهم أكثر من تلك التى تقربهم.

ومع ذلك فإن من يري صور الينارى الرائعة فى المجموعة التى تم اختيارها لهذا المعرض فسيجد فيها وحتى وقت قريب كمية مذهلة من القواسم المشتركة بين هذه الدول. ويبدو للوهلة الأولى أن هذا القاسم المشترك هو فقط اللون الأصفر الذي يظهر فى خلفية الصور أو تشابه اللغة البصرية للمصورين والذين كانوا فى الغالب من أصول أنجلو سكسونية. ولكن سرعان ما نكتشف أن الأمر ليس كذلك وأن تلك الصور تعكس صلة قرابة فنية و حضارية لا ريب فيها: انظروا إلى ميناء مرسيليا و ميناء الجزائر، إلى منازل لافاليتا وتلك فى بيروت، تطلعوا الى الطرق فى مدينة مغربية ومثيلاتها فى نابولى وسترون أن هناك هوية من الصعب تعريفها ولكنها ظاهرة بشكل واضح.

غير أن تلك الصور تثير لدينا انطباع آخر وهو أنه منذ مائة عام كانت توجد نقاط التقاء بين شواطئ المتوسط اكثر من اليوم، فالساحلين الكبيرين، و بالذات الأوروبى والجنوبى كانت لهما سمات مشتركة فقدناها تماماً أو تقريباً و أن تلك السواحل قد ابتعدت بشكل ما عن بعضها البعض. إن المزيج الكائن فى الحضارة الزراعية والتجارية التى كانت قائمة على طول الساحل المتوسط بدأ فى الاختفاء تدريجياً مع ظهور الحضارة الصناعية و بشكل أكبر مع الحضارة التكنولوجية الحالية. إن الشعور بالانتماء ما زال باقياً والصلة التى تجمع دول هذا البحر مازالت واضحة و بالتالى فإن هناك حاجة سياسية و اجتماعية إلى ضرورة منح هذه المنطقة مزيد من السلام والاستقرار و الإخاء. و لكى نبقى على كل ذلك فهناك ضرورة لإجراء حوار نشط حول النشاط البشرى من أجل تحقيق تقدماً أكثر انسجاما فى كل دول المنطقة.

وقد رأت الأنسا وهي المصدر الاول للأخبار أن من بين الامور العاجلة لإعادة بناء هذا التوافق و الانسجام هي تدفق الأخبار حتى تتيح لكل فرد أن يعرف شيئاً عن جاره وما يجري في الطرف الآخر من هذا البحر. حتى يكون ما يحدث لنا هنا معروف في اماكن آخري من العالم.

هذا هو السبب الذي من أجله أنشأت أنسا ميد وهي خدمة إخبارية متعددة اللغات تبث كل يوم وعلي مدار 24 ساعة أكثر من مائة خبر في اليوم للأحداث السياسية و الاقتصادية و الدينية و الرياضية وتحقيقات من مختلف دول البحر المتوسط، وتقوم انسا بكل ذلك بمعاونة مكاتب متعددة في كل أنحاء العالم و بخاصة مكاتب هذه المنطقة و بمعاونة وكالات الأنباء في حوض البحر المتوسط.

وتخيل انك جالس علي مقهى في احدي الموانئ التي تراها في صور الينارى الجميلة سواء في الوقت الذي أخذت فيه تلك الصورة أو حتى اليوم في هذا الزمن الصعب و المتقلب الذي نعيشه.

لو كنت جالساً امام طاولة في مقهى في أحدي المدن أو القرى فسيقدمون لك غالباً شراب بطعم الينسون إذ إنه من النكهات المشتركة في كل مدن البحر المتوسط وستجد إنسانا يدخل أو يخرج وربما يتبادل معك احدهم بضع كلمات أو يأتي للجلوس بجوارك ليحكي لك ما حدث له بالأمس أو ما يتمني أن يحدث له في الغد و قد يكون لدي احدهم شيء ينجزه إلا أن الحديث و تبادل الأخبار هو الشيء الأهم.

وبعد أن تكون جلست لبعض الوقت ستدرك أن هذا هو جوهر الهوية الحقيقية للبحر المتوسط:

متعة أن يقترب منك شخص لا تعرفه ليتحدث معك ويهتم بك. وهذا ما أردنا أن نفعله: أن نروي من خلال هذا المعرض جزءً لا يتجزأ من روح المنطقة وما كنا عليه في هذه الحقبة ونحاول أن نتيح لك في المستقبل استعادة هذا الزمن مرة أخري.

بوريس بيانكيري
رئيس الأنسا